

أن تدق وتدق ، في خطوط موسيقية متوازية ، وفي أطوال نغمية متساوية ، وهذا كانت موسيقى الشعر التقليدي زخرفية ، غير ذات وظيفة فنية بالمعنى الذي يجب أن يفهم في عصرنا ، وهو المعنى الذي يتفق مع مبدأ التكامل الهرموني هذا الذي سلف الحديث عنه .

وأهم ما كان لهذه الموسيقى من وظيفة هو أولاً أنها تساعد أمة أمية على حفظ مفاخرها وأيامها ، والشعر في صورته العمودية خير معوان للذاكرة على الحفظ ، وهو ثانياً أنها ترقى بالفكرة المنشورة فتصحبها في قالب جليل يساعد على جعلها أمثلة سيارة ، وحكماً شاردة ، وهو ثالثاً قد يلائم الغنائية البسيطة – غير المركبة – كما نرى في شعر ذوي الطبع العنيف من شعراء الغزل العنيف غالباً وشعراء الخوارج والصعاليك دائماً .

ونستطيع تحديد معنى الزخرفية التي طبعت موسيقى الشعر العمودي : فكل بيت في القصيدة وحدة تتكون من عدد ثابت – تقريباً – من الحركات والسكنات ، رتب ترتيباً دقيقاً خاصاً ، وتنتهي هذه الوحدة بقافية معينة ، فالقافية تأتي دائماً على مسافات زمنية واحدة لا تتأخر عن الموعد الذي تضربه للأذن لحظة واحدة ، هذه هي الوحدة ، التي تظل تتكرر ما طالت القصيدة ، كما تتكرر الوحدة في الرسم الزخرفي .

ولقد كانت الزخرفية الطابع العام دائماً لكل فن بدائي ساذج بسيط ، ولقد كانت الطابع العام للفنون العربية جميعاً ، ففي فن المهار نرى الأقواس تتوالى ممثلة وحدات زخرفية متكررة ، وفي الرسم كان أهم ما نقلته الحضارة العربية هنا فن « الأرابسك » وهو زخرفة ، وفي فن الرقص نرى الحركة أو عدة الحركات تتكرر وتتوالى حتى يفتر نشاط الراقصين ، لا يمثلون بحركاتهم قصة أو مشهداً ، وفي فن الموسيقى نرى أوضح ما في الموسيقى العربية آلات ضبط الإيقاع من دقوف وطبول ، وحيث نسمع الجملة الموسيقية المتكررة .

فقد كانت موسيقى الشعر كغيرها من الفنون العربية محكومة بذوق يسينغ